الخطاب الإنساني في شعر الصعاليك

الأستاذ الدكتور
ستار جبار رزيج
جامعة المثنى ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية
stier@mu.edu.iq

Human discourse in the poetry of the vagabonds

Prof. Dr.
Star Jabbar Razij
Al-Muthanna University - College of Education for Humanities

الملخص:-

يهدف البحث إلى استقصاء الحالة الإنسانية في شعر مجموعة من شعراء العصر الجاهلي عرفوا بنوع من التوجه للقضايا التي تتعلق بالإنسان وحياته في البيئة الجاهلية، فكان الصعاليك في مضمار السباق الأدبي لا تخلو أشعارهم من قيم إنسانية تضمنها خطابهم الشعري، فكانت قيم الشجاعة والسخاء والكرم والنجدة ظاهرة في منجزهم الشعري بصورة ملحوظة تمثل سمات خاصة بحياة الإنسان ومحاولة البقاء في خضم الحياة الحياة الجاهلية التى لا تخلو من مخاطر.

الكلمات المفتاحية: الحياة، الخطاب، الشعر، الصعاليك، الإنسانية.

Abstract:-

This research aims to explore the human condition in the poetry of a group of pre-Islamic poets known for their focus on issues related to humanity and its life in the pre-Islamic environment. The vagabonds were at the forefront of the literary race, and their poetry was not devoid of human values embedded in their poetic discourse. Values of courage, generosity, benevolence, and courage were clearly evident in their poetic output, representing the unique characteristics of human life and the attempt to survive in the midst of pre-Islamic life, which was not without its risks.

Keywords: Life, discourse, poetry, vagabonds, humanity.

مقدمة:ـ

امتاز الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي عن سائر الشعراء الآخرين بما تمثلوه من قيم الصعلكة في أشعارهم، فمثلت قصائدهم خطاباً مستقلاً، معبراً عن فلسفتهم في الحياة والمجتمع، وأفصحت عن أعرافهم وقيمهم وذاتيتهم بمواجهة الآخر، حيث تمردوا على النظام القبلي القائم على الطبقية كما وصفوا طبيعة حياتهم المتفردة ومشاعرهم الذاتية، وذلك ما يدعو للبحث في خطابهم الشعري، ومحاولة تتبع هذه القيم، ولا سيما القيم الإنسانية وهو ما نتجت عنه الإشكالية التي تبحث فيها هذه الورقة البحثية، ولذلك جاءت بعنوان "**الخطاب الإنساني في شعر الصعاليك**"، وقد جعلتها على فقرات، أوجزت فيها ممهداً بالحديث عن الخطاب الإنساني، والمقصود منه، ومن ثم انتقلت إلى فقرات مقسمة تخص قيم وموضوعات الخطاب الشعري الإنساني عند الصعاليك، وقد أوردتها كما يأتي: قيمة الكرم والدعوة إليها، التأمل الإنساني بالوجود عبر ثنائية (الحياة/الموت)، الخطاب الاجتماعي: وينقسم إلى محاور (القبيلة، الصديق، المرأة)، وأخيراً خطاب الحكمة والموعظة وقد قدمت لهذه المحاور بمقدمة، وأتبعتها بخاتمة تضمنت ملخصاً بالنتائج، مشفوعة بلائحة المصادر التي اعتمدت عليها في البحث، وما توفيقي إلا بالله.

تمهيد: الخطاب الإنساني:

يشير مصطلح الإنسانية في المعاجم الفلسفية إلى مفاهيم عدة، فقد جاء في المعجم الفلسفي: ((الإنسانية عند "كانط" هدف الأخلاق وأساس فكرة الواجب))[١]، ويذهب إبراهيم فتحي إلى أن النزعة الإنسانية تتمثل في أي نسق فكري، أو فعل ينطلق من أن المصالح والقيم، والكرامة الإنسانية هي العامل الأساس[٢] أما في المعاجم التي تخص المصطلحات الثقافية والاجتماعية، أي بمفهوم علم الاجتماع، فإن لفظ إنساني يشير إلى ما يميز الإنسان عن سائر المخلوقات الأخرى، فهي تتضمن تقييما يلمح إلى أفضل خصائص الجنس الإنساني، ولذلك ترتبط بالفضائل مثل الحشمة والفهم والتعقل، والإحسان والرحمة ويمكن أن نفهم دلالة المصطلح أيضا اجتماعياً بنقيضه، أي اللا إنساني (الأدنى من الإنساني)، وهو مصطلح يدل على المواقف أو الأفعال التي تعد غير لائقة أو تنتقص من الكائنات الإنسانية، أو اللا إنساني (الأعلى من الإنساني)، وهو ما يرتفع فوق قدرات وملكات الإنسان الطبيعية، ويمكن أن يُفهم مصطلح إنسانوي بمعنى محب الخير[٣].

وبذلك حين نتحدث عن الخطاب الإنساني فإننا نميز بهذا الوصف خطاباً معيناً عن سائر أنواع الخطاب الأخرى، بما يتضمنه من مفاهيم وقيم تتصل بصفة الإنسانية، كما تبين من خلال مفهومها، وأشد ما يدعو إلى البحث في هذا المفهوم في الشعر الجاهلي، أو شعر الصعاليك من الجاهليين، هو أن الصورة الأبرز التي عكستها الدراسات النقدية للشعر الجاهلي، تركزت في ثيمات معينة، مثل الطلل والرحلة ووصف الصيد والدابة، والفخر بالحروب والغزوات وما إلى ذلك من الأغراض التي تم تنميط القصيدة الجاهلية على وفقها، وهو ما أغفل حقيقة ما يتضمنه هذا الشعر من قيم إنسانية، تتراءى للباحث في طيات هذه الدواوين الشعرية، والتي يمكن أن نبحث فيها على وفق الأنماط الآتية:

١. خطاب القيم المتمثل بقيمة الكرم:

يتحدث محقق ديوان أمير الصعاليك عروة بن الورد عن أنه كان في حياته ومعاملته للصعاليك سمحا، وكريما، فإذا أصاب الناس شدة، وكان في دارهم مريض أو كهل أو عاجز، جمع لهم، وبنى لهم خيمة، وكساهم وأطعمهم[٤]، وهذا ما يدعو الباحث إلى النظر في خطاب عروة الشعري، للبحث عن مصاديق ومضامين تتعلق بهذه الثيمة، وذلك واضح بيّن في مدونته الشعرية، نجد منه على سبيل المثال ما يأتي[٥]:

إذا المرء لم يبعث سواما ولم يُرح	عليه ولم تعطف عليه أقاربُه
فللموت خير للفتى من حياته	فقيراً، ومن مولى تدبُّ عقاربه
وسائلةٍ: أين الرحيل؟ وسائل،	ومن يسأل الصعلوك: أين مذاهبه؟
مذاهبه أن الفجاج عريضةٌ	إذا ضنّ عنه، بالفعال، أقاربه
فلا أترك الإخوان، ما عشت للردى	كما أنه لا يترك الماء شاربه
ولا يستضام الدهر، جاري، ولا أرى	كمن بات تسري للصديق عقاربه
وإن جارتي ألوت رياح ببيتها	تغافلت، حتى يستر البيت جانبه

وبتحليل هذا المقطع الشعري نلحظ أنه ينطوي على كثير من القيم الإنسانية التي كانت تمثل الخطاب الإنساني في الشعر الجاهلي، فأول هذه القيم هو العطف بين الأقارب، فالشاعر يرى أن الموت أهون للإنسان من أن يعيش فقيراً من دون أن تعطف عليه أقاربه،

وأن يُترك لوحده في صراعه الوجودي مع الفقر والحاجة، وهو نفسه ما يعده سببا للتصعلك، حيث تكون الفجاج، والفضاء الرحب في الصحراء مسالك له، يهيم فيها بديلا عن الأقارب، ولكن أهم ما في هذا المقطع أن الشاعر على الرغم من حاجته وفقره، نجده لا يتخلى عن صفته الإنسانية التي تتمثل بالكرم، فهو يعبر عن أنه لا يترك إخوانه للردى، مثل ما لا يترك الماء الشارب الظمآن، كما أنه يرى من الكرم أن يكون جاره غير معوز بجواره، وذلك كله على الرغم من فقره، وحاجته.

ومما يتصل بخطاب الكرم أيضا خطاب بغض البخل، وذمه، فنجده حين يصف كرمه، يحتقر صفة البخل في الناس، فيقول[٦]:

وقد علمت سليمى أن رأيي ... ورأي البخل مختلف شتيت

وأني لا يُريني البخل رأيٌ ... سواءٌ إن عطشتُ، وإن رويتُ

فهو يقول أن البخل صفة مناقضة له، ولا يكون له رأي في البخل سواء أ كان ظمآن أو مرتوياً، كناية عن فقره أو غناه.

٢. الخطاب الفلسفي، الحياة والموت:

الحياة في نظر الشعراء الصعاليك ـ حياة زائلة مؤقتة، والدهر لا يبقي على أي مخلوق، وهم مقتنعون بهذه الحقيقة ويكثرون ذكرها في معظم قصائدهم ويتخذونها حجة ودفاعاً عن مغامراتهم، وفي التهوين على أنفسهم عند فقد الأهل والأصحاب[٧]، وغالباً ما يذكر الصعاليك عدم تشبثهم بالحياة وتمسكهم بها، حينما يجادلون زوجاتهم فتأبط شراً يجادل زوجته العاذلة بهذا المبدأ، ويطلب منها أن تدعه وشأنه وأن تقول بعد مغامرته ما تشاء لأنه لا محالة سيموت ويغدى بنعشه عاجلاً أم آجلاً:

إني وإن عمرتُ أعلم أنني ... سألقى سنان الموت يبرق أصلعا[٨]

وعروة أمير الصعاليك يضيق ذرعاً من زوجته (أم حسان) التي لا تكف عن عذله ولومه على مخاطرته بنفسه، فيتحجج بهذه الحجة مدافعاً عن طريقه الذي ارتضاه:

ثخَوفُني ريب المنون، وقد مضى ... لنا سلفٌ، قيس، معا، وربيع[٩]

ولعلنا نجد في حياتهم المليئة بالمخاطر التي يلازمها الموت في كل أوجهها سبباً في هذه القناعة الراسخة والنظرة الثابتة التي يجد فيها المرء تهوين الصعاب والمواساة عند المحن والشدائد وكأنهم بهذه القناعة يجدون مبرراً لحياة المغامرة والمخاطر فيقللون من قيمة الحياة في سبيل الغاية والهدف، ويرون أنه لا داعي للخوف والوجل، وإن الحذر لا ينجي من القدر، فالشنفري لا يهاب الموت، ويقول إنه سيموت في بيته إن لم يمت في الحرب:

ولِـمَ لّـمْ أرمِ في أهـل بـيتي قاعـدا إذن جـاءتني بـين العمـودينِ حمـتي[١٠]

وقد يرى البعض في هذه النظرة تشاؤماً، وتبرماً من الحياة وإن كان بعض النقاد والكتاب يرى أن الشاعر الجاهلي متشائم في الغالب. يقول مصطفى عبد اللطيف: (الشاعر الجاهلي متشائم في الغالب لا يبدي رأيه في الحياة إلا حين يدفعه إلى ذلك ما يصادفه من ألم وحزن)[١١] ويمكن القول إن النظر إلى الحياة على هذا المنوال لا يعني بالضرورة أن يكون الشاعر متشائماً، بل قد يكون الغرض شيئاً آخر، كما أنه لم يكن الفقر والإملاق دافعاً لكي ينظر لشعراء الصعاليك للحياة هكذا، على الرغم من كونه دافعا لخروجهم على مجتمعاتهم، وتشردهم، فلم تكن تزعجهم حاجاتهم بقدر ما تزعجهم حاجات أهلهم وإخوانهم من الفقراء والمحتاجين. وقد كان لهم أن يؤثروا إذ تذكر لهم المصادر الكثير من المواقف التي غنموا فيها بعد غزوهم فكانوا يقسمون غنيمتهم على الفقراء كما يفعل عروة، والسليك، وتأبط شراً وغيرهم[١٢].

٣. الخطاب الاجتماعي:

الإنسان كائن اجتماعي بالفطرة كما خلقه الله تعالى، يعيش في مجتمع يتمثل في الشعوب والقبائل كما قال الحق سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[١٣]، وأن الغاية الأسمى التي من شأنها تفاعل الإنسان مع غيره من بني البشر هي التعارف وهكذا يظل الإنسان يتعايش مع هذا المجتمع الذي يحيا فيه، ويتفاعل معه، يؤثر فيه تارة، ويتأثر به تارة أخرى، يقبله تارة، ويرفضه تارة أخرى، ويظل هذا الجدل بين الإنسان ومجتمعه على مستويات متعددة على مستوى الفرد، وعلى مستوى القبيلة، وعلى مستوى النوع كالموقف من المرأة وفيما يلي محاولة لوضع تصور لأشكال هذه النزعة في شعر عروة بن الورد:

- **القبيلة:** (القبيلة) هي تلك البيئة الخصية التي ينمو فيها الشخص، وإليها ينتمي، ووسطها يعيش حياته، ويكون لها ولاؤه وانتماؤه وتمثل علاقة عروة بالقبيلة حجر الزاوية في حياته وشعره، ولعلها تكون أبرز وأوضح صور علاقة الصعلوك بالآخر في شعر الصعاليك. وقد اتخذت هذه الصورة عدة أشكال ارتبطت بطبيعة علاقة الصعلوك بالقبيلة، وبالنظر إلى شاعرنا عروة بن الورد نجد أن موقفه من القبيلة لم يكن ذلك الموقف الأحادي الشكل، بل اتخذ مواقف متعددة من القبيلة، فتارة نجد علاقته بالقبيلة علاقة تخالف وعدم موافقة[١٤].

وفي هذا الشكل من أشكال علاقة الصعلوك بقبيلته نجد خروجاً على العلاقة الطبيعية بين الفرد وقبيلته مما يؤدي إلى إحداث قطيعة بينهما، ينتج عنها تمرد الصعلوك على قبيلته، وخلع القبيلة لهذا الصعلوك مما ينعكس على شعر الصعلوك، ويظهر هؤلاء الشعراء الصعاليك لرأيهم بالقبيلة في أشعارهم[١٥] وهنا يوضح عروة أسباب هذا التمرد، وأهمها ما لاقاه عروة بن الورد من قومه من معايرة بسبب نسبه، فقد عيروه بأن أمه غريبة، وهو يرى أن الكريم الماجد لا يقدح فيه أن أمه غريبة كما عيروه عندما كان فقيراً على فقره، ثم على جمعه المال بالنهب والسلب. إن عروة عاش في قبيلته حياة كلها هموم ومعاناة وكلها جفاء وازدراء، إن رفضه كان سبب رفض هؤلاء الناس له، فيقول مصوراً هذه المعاناة[١٦]:

هُـمْ عيّـرُوني أنْ أُمّـي غريبـةٌ ... وهـلْ في كـريمٍ ماجـدٍ مـا يُعيَّـرُ؟

وقـدْ عيَّـروني المـالَ حـين جمعتُـهُ ... وقـدْ عيَّـرُوني الفقـرَ إذ أنـا مقتـرُ

وعيّـرني قـومي شَـبابي ولمّـتي ... مـتى مـا يشَـا رهـطُ امـرئٍ يـتعيرُ[١٧]

كما ضرب لنا نماذج أخرى تصور مدى توافقه مع القبيلة وانسجامه معها وتعاطفه معهم، حيث عبر عن موقفه الإنساني من ضعفاء قبيلته إذا ما أصابهم القحط والجفاف ونال منهم الجوع، حيث نجده يقر أنه لن يترك إخوانه - في البيت سابق الذكر- من بني قبيلته للموت ما دام على قيد الحياة، ويشبه حاله في ذلك بمن أصابه العطش ووجد الماء، فإنه لا يتركه مهما حدث يقول مصورا ذلك:

فَـلا أتْـركُ الإخـوانَ مـا عشـتُ للـرَّدى ... كَمَـا أنَّـه لا يتـركُ المـاءَ شـاربهُ[١٨]

كما نجد أن هذه العلاقة اتخذت شكلاً آخر من أشكال التكامل، وهو الاعتراف بالسيادة، والإقرار بها ومن نماذج هذا الاعتراف قوله مقراً بالسيادة لربيع بن زياد العبسي زعيم قبيلته، ورفضه عقوقه رغم تحري زوجه على هذه العقوق قائلاً:

لكلّ أُناسٍ سيّدٌ يَعرفونَهُ ... وسيدُنَا حتى الممات ربيعُ

إذا أمرَتني بالعُقوق حلِيلتي ... فلمْ أعصِها، إني إذا لَمضِيعُ[١٩]

- **الصديق:** تمثل الصداقة في المجتمع الجاهلي قيمة عظيمة حيث إن الأصدقاء هم من يقفون بجوار بعض المحن، ويساعد كل منهم الآخر، وتظهر معادن الأصحاب في الشدائد فعندما يبرز الصديق الحق من الصديق الزائف، وما من شك في أن الشدائد هي محك العدو من الصديق، أما عن عروة فقد كانت له مواقف متعددة في هذا الشأن، حيث يقدم لنا في بعض نماذجه الشعرية وصفاً لعلاقته بالأصحاب بأنها (علاقة زعامة وقيادة) ويتحدث عروة كثيراً عن أصحابه، ولكنه حديث الزعيم أو القائد، لا حديث الرفيق أو الزميل، فهو يدعوهم إلى الخروج معه للغزو والغارة[٢٠]، ذلك أن عروة قد عاش حياة الزعامة التي لا تفارقه، فهو لا يقف رفيقاً لأصحابه، وإنما يبعث أحدهم ليرقب لهم الطريق فوق المرتفعات[٢١]، ثم يطلب منهم أن يوجهوا أنفسهم للغزو والإغارة، فإن الموت في هذا المجال أشرف من الهزل والجوع.

ويحثهم على القتال والإغارة بلغة القائد الشجاع المعتز بنفسه بأنهم لن يبلغوا مبلغه من الشجاعة ولا يصلون إلى ما وصل إليه حتى يبلغوا منبت الأثل ويقصد بها يثرب أو الجبال، وفي ذلك حث على الإغارة والقتال[٢٢]. وقد صور ذلك كله في أبياته:

ألـيسَ ورَائـي أنْ أَدُبَّ علـى العَصَـا ... فيَشـمتَ أعـدائي، ويسْـأَمُني أَهْلِـي

رهينـةُ قَعْـرِ البيـتِ، كـلَّ عشـيّةٍ ... يُطيـف بي الوالـدانُ أهـدجُ كـالرَّألِ

أقيمـوا بـني لُبْنَـى صُـدُورَ ركَـابكُم ... فكـلُ مَنايـا الـنَّفْس خـيرٌ مـن الهَـزْل

فـإنْكمْ لـنْ تبلغُـوا كـلَّ هِمّتِـي ... ولا أُربي حَتَّـى تـروا منبـتَ الأَثـلِ[٢٣]

- **المرأة:** إن المرأة هي ذلك الكائن الذي يمتاز بالغموض، ويجسد كثيراً من المتناقضات في حياة الرجل، فتارة هي المحبة العاشقة، التي يرتوي الحبيب من فيض محبتها،

وتارة هي الجافية اللدود التي ترهق قلب محبها، وتفطره من لوعة البعد وعذاب الفراق، وتارة هي الزوج المحبة لزوجها الحانية عليه، وتارة هي الزوجة العاقة لزوجها المضيعة لحقوقه وبين هذه وتلك يقف الرجل عامة، والشاعر خاصة مواقف متباينة، وقد صور عروة بن الورد علاقته بزوجه في العديد من أشعاره فها هو ذا يصور الحوار الذي دار بينه وبين تماضر زوجه، وما كان منها عندما رأت ما حل بعروة من الفقر وضيق العيش، وجفوة الأقارب، كما يصور لومها له على قعوده وعدم شجاعته وركوبه المخاطر ليصيب غنيمه تغنيه، وتجعل بقاءه وسط العيال مع الفقر مقبحة ومذمة، ثم تبرر طلبها هذا بأن في جمع المال مهابة وعظمة تجعل الآخرين يحترمونه، وفي المقابل من ذلك يكون مع الفقر ذل وانكسار ومهانة[٢٤]، يقول عروة:

قالتْ تُماضر إذ رأتْ مالي خَوى ... وجَفَا الأقاربُ، فالفؤادُ قريحُ

ما لي رأيتُكَ في النّديّ منكّساً ... وَصِباً، كأنّكَ في النّديّ نَطيح؟

خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة ... إنّ القُعودَ، معَ العِيالِ، قبيح

المال فيه مهابة وتجلة ... والفَقْرُ فِيهِ مذلّةٌ وفُضُوح[٢٥]

إن الأبيات التي وردت عن عروة تمثل موقفا سلبيا منه، فرغم ما ورد عن الزوج من كلمات تحمل في طياتها شيئاً من إهانة واحتقار لعروة على الرغم من أنه زوجها، وله عليها حق الاحترام والطاعة مهما كانت الظروف، لا سيما وعروة هو الفارس الشجاع المشهود له، إلا أننا نجد عروة يورد هذه المعاني دون أن نجد في شعره ردا يتناسب مع رجولته وعربيته، فقد اكتفى بذكر لومها وعتابها له من دون تعليق أو وعد بالعمل والاجتهاد، يمثل السلبية بحسب أحد الباحثين السلبية المعيبة[٢٦].

بينما في الأبيات التالية نجد الأمور قد اختلفت، والمواقف قد انقلبت، فها هي ذى الزوج تطالب عروة بأن يتوقف عن الغزو والإغارة، وقد استعملت ما لديها من أسلحة مؤثرة من مقلة ساحرة، وطرف أحور.

في حين نجد عروة هذا الفارس الشجاع الذي خاض المعارك، وجابه المهالك يرد بكل قوة وحسم بأنه اعتاد لقاء الموت، وأصبح لا يهابه، ويتابع الدفاع عن موقفه حتى يبلغ نهاية

الأبيات مقرراً حقيقة هي الغاية في الروعة، والنهاية في الجمال، وهي أن ما تراه زوجه من شيب قد كسا رأسه ليس السبب فيه كبر السن، ومر السنين، بل إن السبب فيه هو المشاهد الجسام التي عاشها والمخاطر الجمة التي خاضها:

تقولُ: ألا أقصرّ من الغزوِ، واشتكى ... لها القولَ، طرفٌ أحورُ العينِ دامعُ
سأُغنيكِ عن رَجعِ المَلامِ بمُزْمعٍ ... من الأمرِ، لا يَعْشُو عليهِ المطاوعُ
لبوس ثياب الموت حتى إلى الذي ... يُوائمُ إمّا سائمٌ، أو مُصارعُ
إذا أرهنته المين شدةُ ماجد ... فورعها القوم الألى ثم ما صعوا
ويدعُونَني كهلاً، وقد عشتُ حِقبةً ... وهنّ، عن الأزواجِ نحوي، نوازعُ
كأنى حصان مال عنه جلاله ... أعز، كريم، حوله العوز، راتع
فما شابَ رأسي من سنن تتابعت ... طوالٍ، ولكنْ شيّبَته الوقائعُ[٢٧]

٤. خطاب الحكمة والموعظة:

الحكمة في شعر الصعاليك وليدة الدهر وتجاربه، لا وليدة العلم الصحيح والتفكير العميق والتأمل الطويل ترشد البدوي إلى منافعه، وتبعده عن مضاره تزين له الفضائل التي تحمدها الجاهلية لتعظم القوة وتحقر الضعف، وظلم البعيدين والحلم على الأقرباء، والعفة عن الجارة، وإدراك الثأر ومنع المعروف لنيل واكتسابه الذكر الجميل، كما تزين له فضائل إنسانية لا يحدها زمان ولا مكان كالأمانة والوفاء بالوعد واصطفاء الصديق وتجنب الرياء والخيانة وإباء الذل والصبر على المصائب[٢٨] ونظروا في حياتهم الإقتصادية فتكلموا على الكسب وجمع المال وقابل عروة بن الورد بين الغنى والفقر، فرأى الناس يزدرون الفقير ولا يجعلون له وزنا في مجتمعه ولو كان عاقلاً فاضلاً، ورآهم يعصمون الغني مبالغين في إطراء فضائله متناسين عيوبه وما يقترف من ذنوب فقال يخاطب إمرأته[٢٩]:

دعيني للغنى اسعى فإني ... رأيت الناس شرهم الفقير
وأبعدهم أهونهم عليهم ... وأن أمسى له حسب وخير
ويقصيه الندي وتزدريه ... حليلته وينهره الصغير

ولقد حلق الشنفري في أجواء السماء بحكمته الحربية التي كانت ممثلة لنفسية المغامر الجبار، حيث كانت صورة لتلك المخاطر التي خاضها بحيث جاءت ناطقة بصدق كما في نفسه سواء أكانت في الغزوات والفتك أم في المثل الأخلاقي الرفيع في الإباء والترفع عن الدنايا. وقد يتشابه ما جاء به الشنفري من حكم مع حكم شاعر الحروب الإسلامية، وقد حكم الشنفري ألوان متعددة بحيث صبغت أقوال هذا الصعلوك الثائر على الظلم في أكواب بهية تقابلها النفس بارتياح من ذلك قوله(٣٠):

دعـيني وقـولي بعـد مـا شـئت آتي ... سـيغدى مـرة وأغيـب

الخاتمة:

وبهذه الصورة نستطيع استخلاص ملامح الخطاب الإنساني بشكل عام، في شعر الصعاليك، بوصفه أحد تمثلات الخطاب الإنساني في الشعر الجاهلي عامة، عبر أبعاد أربعة، البعد الأول هو خطاب القيم والأخلاق، وتمثل بخطاب الكرم، والثاني هو خطاب الفلسفة الإنسانية الذي تمثل بثنائية الموت والحياة، أما البعد الثالث فهو الخطاب الاجتماعي، وقد رأيناه يتفرع إلى ما يخص القبيلة، وعلاقة الفرد معها، وعلاقته بالصديق، وعلاقة الرجل بالمرأة، أما آخر أبعاد الخطاب الإنساني في شعر الصعاليك من الجاهليين فهو خطاب الحكمة، وهو أيضا يشتمل على كثير من القيم والأخلاق التي يصبها الشاعر في قالب حكمي.

بناء على ما تقدم تخرج هذه الورقة البحثية بمجموعة من النتائج، بعد أن بيّنا بإيجاز مفهوم الخطاب الإنساني، محددين إياه بالخطاب الذي يتضمن مفاهيم وقيما تتصل بصفة الإنسانية، وهي كل فعل أو نسق فكري يكون العامل الأساس في انطلاقه هي المصالح والقيم والكرامة الإنسانية، ويمكن إيجاز النتائج بما يأتي:

- تمثل قيمة الكرم قيمة عليا في الخطاب الإنساني في شعر الصعاليك ذلك أن الشاعر على الرغم من فقره، وتشرده في الصحراء، لا يتخلى عن هذه القيمة، بل يدعو إليها، ويذم ما يناقضها وهي صفة البخل.
- إن نسق الحياة التي عاشها الصعاليك بما فيها من مواجهة مع شظف العيش تمخضت عن خطاب إنساني فلسفي تجلى في شعرهم، فتأملوا ثنائية الموت والحياة، ونلحظ إن هذا الخطاب يهون من كراهية الموت، بل قد يحببه للنفس أحيانا.

- يُلحظ في الخطاب الشعري عند الصعاليك (عروة أنموذجا) خروجاً وانفصالاً قد يؤدي إلى إحداث قطيعة بين الصعلوك وقبيلته، ويحاول الشاعر في خطابه تبرير هذا التمرد برفض القبيلة له، وبذلك يتمثل الخطاب الإنساني بالدعوة إلى نبذ الطبقية والاستعلاء بين أفراد القبيلة.
- ومما يتصل مع الخطاب الاجتماعي الإنساني نلحظ أن التمرد على القبيلة يتحول إلى خطاب رأفة ورحمة بالفقراء، والضعفاء من أبناء القبيلة.
- ونجد تمثلا لخطاب السلطة في شعر عروة والصعاليك حين يخاطب الصديق، فهو يضع نفسه في موضوع الزعيم والموجه.
- في خطاب الصعاليك نجد موقف المرأة كثيرا ما تنمط بصورة العاذل، فهي مثلت الآخر المحاور والمجادل، ولهذا لم تكن صورة المرأة ذات نزعة إنسانية تبحث في همومها ومشاكلها، وإنما هي انعكاس لصورة الآخر بمواجهة الصعلوك.
- تمثلت الموعظة والحكمة في الخطاب الشعري عند الصعاليك، بوصفها إحدى تمثلات النزعة الإنسانية، فجاء الخطاب داعياً وواعظاً، يزين الفضائل، ولكن الفضائل التي هي بعين تلك الحقبة الجاهلية، مثل إدراك الثأر والرأفة بالأقربين، وظلم الأبعدين، كما تمثلت القيم العامة، مثل الأمانة والوفاء بالوعد واصطفاء الصديق، وتجنب الرياء وغيرها.

هوامش البحث

(١) المعجم الفلسفي، إبراهيم مدكور، المجمع العلمي المصري، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط١ (١٩٧٩): ٢٥.

(٢) يُنظر: معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، الجمهورية التونسية (١٩٨٦): ٣٦٩.

(٣) يُنظر: مفاتيح اصطلاحية جديدة، (معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع)، طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ، ميغان موريس، تر: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة، ط١ بيروت (٢٠١٠): ١٢٠- ١٢١.

(٤) يُنظر: ديوان عروة بن الورد، أمير الصعاليك، تح: أسماء أبو بكر، دار الكتب العلمية (١٩٩٨): ١٠.

(٥) الديوان: ٤٨.

(٦) ديوان عروة بن الورد: ٥٠.
(٧)القيم الاجتماعية والفنية في شعر الصعاليك، الأمين محمد عبد القادر، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، (٢٠٠٨م): ٤٦.
(٨) ديوان تأبط شرا، تقديم: طلال حرب، دار صادر- بيروت، ط١ (١٩٩٦): ٤٠ .
(٩)ديوان عروة: ٤٦.
(١٠)المفضليات، تح: أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط٤: ١١٢.
(١١)الحياة والموت في الشعر الجاهلي، مصطفى عبد اللطيف، دار الحرية، بغداد، (١٩٧٧م): ٣٣٧
(١٢)القيم الاجتماعية والفنية في شعر الصعاليك، الامين محمد عبد القادر: ٤٨.
(١٣) الحجرات: ١٨.
(١٤) الموقف من الآخر في شعر عروة بن اورد، عصمت محمد أحمد رضوان، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، قسم الأدب والنقد، العدد السابع عشر، (٢٠١٣م): ٤٨٩.
(١٥) يُنظر: ثنائية الأنا والآخر، الصعاليك والمجتمع الجاهلي، عبدالله محمد طاهر، بحث منشور في مجلة التراث العربي، دمشق، العدد ١٢، (٢٠٠١م): ١٨٣.
(١٦)يُنظر: شرح ديوان عروة ابن الورد، ابن السكيت، ط كلية الآداب، الجزائر: ١٣١.
(١٧)ديوان عروة بن الورد: ٤٠.
(١٨)الديوان: ١٩.
(١٩)الديوان: ٤٩.
(٢٠)يُنظر: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، يوسف خليف، دار المعارف، القاهرة ط٤:٢٠٧.
(٢١)يُنظر: شرح ديوان عروة:١٩١.
(٢٢)يُنظر: شرح ديوان عروة بن الورد، ابن السكيت: ١٠٦ - ١٠٧.
(٢٣)الديوان: ٥٤.
(٢٤)الموقف من الآخر في شعر عروة بن الورد، عصمت محمد أحمد: ٢٤٩٥.
(٢٥)الديوان: ٢٤.
(٢٦) يُنظر: المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام، أحمد سلمان مهنا، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية،(٢٠٠٧م).
(٢٧)الديوان، ٤٨.
(٢٨) يُنظر: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، حياتهم أثارهم نقد آثارهم، بطرس البستاني، مؤسسة هنداوي، طبعة جديدة أولى، (٢٠١٤) مصر: ٧١.
(٢٩)الديوان، عروة بن الورد: ٧٩.
(٣٠) يُنظر: الشنفري شاعر الصحراء الأبي، أبو ناجي، محمد حسن، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، (١٩٤٢م):٦٧.

قائمة المصادر

الكتب:

١. أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، حياتهم أثارهم نقد آثارهم، بطرس البستاني، مؤسسة هنداوي، طبعة جديدة أولى، (٢٠١٤) مصر.
٢. الحياة والموت في الشعر الجاهلي، مصطفى عبد اللطيف، دار الحرية، بغداد، (١٩٧٧م).
٣. الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، يوسف خليف، دار المعارف، القاهرة.
٤. الشنفري شاعر الصحراء الأبي، أبو ناجي، محمد حسن، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، (١٩٤٢م).
٥. المعجم الفلسفي، إبراهيم مدكور، المجمع العلمي المصري، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط١ (١٩٧٩).
٦. معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، الجمهورية التونسية (١٩٨٦).
٧. مفاتيح اصطلاحية جديدة، (معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع)، طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ، ميغان موريس، تر: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة، ط١ بيروت (٢٠١٠).

الدواوين:

٨. ديوان تأبط شرا، تقديم: طلال حرب، دار صادر- بيروت، ط١ (١٩٩٦).
٩. ديوان عروة بن الورد، أمير الصعاليك، تح: أسماء أبو بكر، دار الكتب العلمية (١٩٩٨).
١٠. شرح ديوان عروة ابن الورد، ابن السكيت، ط كلية الآداب، الجزائر.
١١. المفضليات، تح: أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط٤.

الرسائل والأطاريح الجامعية:

١٢. القيم الاجتماعية والفنية في شعر الصعاليك، الأمين محمد عبد القادر، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، (٢٠٠٨م).
١٣. المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام، أحمد سلمان مهنا، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية،(٢٠٠٧م).

الدوريات:

١٤. ثنائية الأنا والآخر، الصعاليك والمجتمع الجاهلي، عبدالله محمد طاهر، بحث منشور في مجلة التراث العربي، دمشق، العدد ١٢، (٢٠٠١م).
١٥. الموقف من الآخر في شعر عروة بن اورد، عصمت محمد أحمد رضوان، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، قسم الأدب والنقد، العدد السابع عشر، (٢٠١٣م).